الشيوعية

بقلم الشيخ عبد القادر شيبة الحمد
المدرس بكلية الشريعة

اطلق العرب على المذهب الاقتصادى الذى تسير عليه روسيا ومن نحا نحوها (الشيوعية) وهى فى أصل اللسان العربى من قولهم سهم شائع اذا كان غير مقسوم • وهذه المادة استعملت فى اللسان العربى فى عدة أحوال كذلك وكلها تدور على الذيوع والانتشار فمن ذلك قول العرب « الشاع » للمنتشر من بول الناقة •

(تاريخ)

مزدك :

عرف العالم القديم الشيوعية فى صور شتى ومن ذلك ما أثر عن «مزدك » الفارسى الذى ظهر فى عهد الملك « قباد » ملك فارس ، وكان هذا الملك ضعيفا مهينا فسدت فى عهده الرعية فزعم مزدك انه نبى ، وأخذ ينهى الناس عن المباغضة والمخالفة والقتال وأعلن أن سبب هذه الفتن هى النساء والاموال لذا رأى ان تباح النساء لكل راغب وان تباح الاموال لكل طالب حتى يشترك فيها الناس اشتراكهم فى الماء والهواء •

وقد انتشر مذهبه فى عامة بلاد فارس ودخل فيه « قباد » نفسه • وقام الفقراء بتقتيل الاغنياء ، وصار الجماعة منهم يدخلون على الرجل فيقتلونه ويثبون على أمواله ونسائه فغضب لذلك بعض عظماء فارس وبخاصة انو شروان بن الملك قباد

Made With Pdf Office

وزعيم آخر يقال له ـ ساجـــور ـ وتآمروا على مزدك وقتلوه وخلعواقباد وعينوا أخاه ـ جاماسب ـ ملكا عليهم وحاولوا القضاء على فتنة المزدكيـة ، غير أن قباد استطاع ان يعـود الى الملك وان يحبس أخاه ٠

فقوى بذلك شر المزدكية من جديد واستمرت الى ان قتل قباد وتـولى بعده ابنه انو شروان الذى ولد فى عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أستقل بالملك وجلس عـلى السرير وقال لخواصه :

ـ انى عاهدت الله اذا صـار الى الملك الا أبقى على أحد من المزدكيـة الذين أفسدوا أموال الناس ونساءهم ٠

وكان عند سريره رجل مزدكى فقال لانو شروان :

ـ أتقتل الناس جميعا ؟

فنظر اليه انو شروان وقال له :

ـ أتذكر يا ابن الخبيثة يـوم طلبت من أبى ان يأذن لك فى المبيت عند أمى فاذن لك ، ولمـا ذهبت الى حجرتها لحقت بك وقبلت رجلـك التى أثر نتن جوربها فى أنفى وتضرعت اليك حتى وهبتها لى ورجعت ؟

فأقر الرجل امام الحاشية بمـا قال الملك ، فأمر بقتله فضربت عنقـه وأحرقت جثته ، ثم أمر أنو شروان باستئصال شأفه المزدكيـة وقضى عليهم ٠

(كـارل ماركس)

كما عرفت الشيوعية فى العصر الحديث فى صور متقاربة بزعامـة رجال تكاد تتشابه ظروف حياتهـم مع حياة مزدك الفارسى وأشهـر هؤلاء الزعماء « كارل ماركس » ٠

حيـاته :

وقد ولد كارل ماركس عام ١٨١٨ من ابوين يهوديين غير أن أباه لـم يستقر على دين آبائه اليهود ، فقـد تنصر وترك دين اليهودية ٠ أمـا كارل ماركس فقد ظهر فى أول شبابه حريصا على الدين فقد أثر عنه انـه كان يقول آنذاك :

(الدين أساس الحياة الانسانية ، وهو يلقننا الحكمة والخير) ٠

نفسيتـه :

بيد ان خبيئة ماركس كانت تعلن عن نفسها فى كثير من الاحيان ٠وقد كان هذا الاعلان يبدو تناقضـه فى كثير من الاحوال ، ويعلل ذلـك «اوتورهل» الماركسى اذ يقول :

ـ (انه كان نموذجيا فيما كـان يعانيه من اختلال نشاطه الـروحى وكان على الدوام متقلبا حقودا لا يزال فى تصرفه عرضة لتأثير سوء الهضم والانتفاخ وهياج الصفراء وكـان موسوسا يغلو كجميع الموسوسيـن فى الشعور بمتاعبه الجسدية) ٠

Made With Pdf Office

وقد عثر على رسالة كتبها والد ماركس يصف فيها حال ولده بأنه يقضى جل لياليه مرهقا جسده وعقله فى دراسة لا لذة فيها معرضا عن جميع الملهيات فى طلب المشكلات الغامضة ليهدم غدا ما بناه اليوم ٠

وقد كان ماركس يهمل دروسه وينقطع عن معهده الاسابيع المتواصلة متابعا لما شذ من الاراء التى يبنيها اليوم ويهدمها غدا او باحثا عن اللذة الجنسية والمتاع الجسدى ٠ وقد شغف اولا بدراسة القانون ثم تركه، وشغف بدراسة الفلسفة ثم تركها ، واشتغل بدراسة المذاهب الاقتصادية وحصل على شهادة الدكتوراه بالمراسلة من جامعة جينا الالمانية عام ١٨٤١ م

وكان ماركس أيام حياته الدراسية عالة على أبيه ـ هرشل ـ فلما مات ابوه صار عالة على امه وأخته حتى عجزتا عن مواصلة الانفاق عليه ، فصار يلجأ الى الاستدانة من أقربائه واصدقائه وبخاصة من ـ انجلز ـ قرينه فى الدعوة الى الشيوعية ٠

وكان أصدقاؤه اذا ضاقوا من طلباته حاولوا ان يكلفوه ببعض الاعمال التى قد تدر عليه بعض الرزق ولكنه كان يبوء بالفشل فى كل عمل يسند اليه ٠

وكان ماركس قد تعرف على فتاة بارعة الجمال اثناء دراسته للحقوق فى جامعة بون تدعى ـ جيني ـ ولم يكن احد قد اشتم منه رائحة نزعته الشيوعية الى ذلك الحين ٠ وكان عمره لا يتجاوز العشرين ٠ وقد وقعت الفتاة فى قلبه وهام بها ، ولم يكن فى اول امره ذلك يفكر فى الزواج منها نظرا لانها من طبقة فوق طبقة اهله ، والتقاليد تقف حجر عثرة فى سبيله غير أن الفتاة بادلته الحب ورغبت فى الزواج منه ولم تعبأ بالفوارق الطبقية التى توجد بينهما٠

وقد بذل ماركس وجينى كل ما يستطيعان لتحقيق حلمهما فى الاقتران الرسمى وتمكين عواطفهما المشبوبة من الحصول على ثمرة طويلة ، حتى تمكنا من ذلك اذ أعلنت الفتاة فى عزم واصرار انها لن تتخلى عن ماركس مهما كانت الفوارق الطبقية بينهما ، وانها راضية به على أى حال ٠

وعلى الرغم من تحقيق هذا الحلم فقد بدأ ماركس يشعر بالحقد الثائر نحو نظام الطبقات الذى كاد يحول بينه وبين حبيبته جينى ، وقد بدأت مشكلة المعاش ـ له ولزوجته ـ تتعقد امام ماركس فقد زادت نفقاته ولم يتحسن انتاجه ولا سيما بعد أن صار ذا اولاد ٠

وقد صورت زوجته جينى ماصارت اليه هى وزوجها من البؤس فى كتاب الى صديق لها تطلب منه ان يمد لها يد المساعدة قالت فيه :

Made With Pdf Office

(ائذن لى ان اصف لك يوما من ايام هذه الحياة ، وسترى ان غيرنا لم يقاس ما قاسينا • فأنا مريضة سقيمة ومع ان ثديى وظهرى بهما اوجاع وآلام بالغة فاننى مضطرة الى أن أرضع طفلى الرابع الحديث الولادة لاننى لا استطيع ان ادفع أجرة مرضعة، ولكن كان طفلى يرضع الحزن والالم والوجع فيتلوى من المرض ليلا ونهارا•

ومع هذا الفقر والحاجة فقد دخلت علينا صاحبة المنزل وطلبت منا أجرة البيت كما طالبت بما علينا لها من القروض ، ولما كنا عاجزين عن الدفع فقد حجزت على كل ما نملك فى البيت حتى فراش الطفل وباعته بما لها علينا من الدين ، ثم طردتنا الى الشارع والمطر ينهمر بغزارة ، والبرد قارس لا يرحم ، وبذل زوجى ماركس كل ما فى وسعه من جهد فلم نجد من يقبل ايواءنا) •

كما كتبت جينى مرة اخرى تصف احدى ليالى البؤس التى مرت بها وبماركس فتقول :

ـ (أحست ابنتنا بنزلة شعبية ، وصارعت الموت ثلاثة ايام ثم ماتت وأخذنا نبكى عليها ولم يكن لدينا ما نجهزها ونكفنها به ، وأبقينا الجثة حتى نجد ما نستعين به على دفنها ، ومضيت الى جار فرنسى مهاجر فأعطانى جنيهين ! ••

واأسفاه ! •• وفدت ابنتنا الى الدنيا فلم تجد مهدا وعندما غادرت الدنيا لم تجد كفنا) •

من هذه الصور نستطيع أن نعرف الدوافع التى حدت بماركس أن يكون داعيا لمصارعة الطبقات ثائرا عنيدا فى الدعوة الى الشيوعية ، عبدا ضارعا امام محراب المادية •• ينفث سمومه فى نواح متعددة من أوربا ولا سيما فى انجلترا حتى مات عام ١٨٨٣ م•

ولما قامت الثورة الروسية ضد القياصرة من اسرة ـ رومانوف ـ بعد الحرب العالمية الاولى وتسلم قيادة الثورة ـ لينين ـ أحد الماركسيين ـ ظهرت الشيوعية الرسمية لاول مرة فى العصر الحديث •

(المذهب الماركسى)

روحه وصورته :

للمذهب الماركسى روح وصورة ،

اما روحه : فهى فلسفته فى الكون وأنه لا أثر فيه لغير المادة فلا ايمان الا بالمادية •

واما صورته : فهى المخططات الرئيسية التى لا بد منها لقيام المجتمع الشيوعى •

المادية :

اعلن ماركس بانه لا يؤمن بغير المادة • وأن كل شىء فى الوجود ان

Made With Pdf Office

هو الا أثر من آثار المادية والمادية في نظر كارل ماركس تعني عدم الايمان بالغيب كما تعني الكفر بالله فاطر السموات والارض ، وانكار جميع المظاهر الدينية والمذاهب الروحية ، والمنازع الاخلاقية ، والتقاليد ونظام الزواج والاسرة ، وكذلك انكار العواطف والتأثرات النفسية والوجدانية ، والعلوم والمعارف والآداب فهذه كلها في نظره من تضليلات اصحاب الثروة (الرأسماليين) لاستغلال الفقراء والمساكين . وليس هناك الا المادة فهي التي تكون وقائع التاريخ وما المظاهر الكونية كلها الا مادة بحتة .

الدين :

يزعم ماركس ان الدين وسيلة من وسائل الاستغلال . اخترعه أصحاب الثروة والمسيطرون على مصادر الانتاج ليخدروا به الشعب حتى يسهل استغلالهم وتتيسر سرقتهم وقد اضطرب ماركس في شأن الدين اضطرابا عنيفا فمرة يقول فيه : انه (افيون الشعب) الذي يخدرها عن رؤية الحقائق المادية . ومرة يزعم أنه انعكاس القوى الظاهرية التي تسيطر على معيشة الانسان اليومية على معنى أن الانسان يرى في المناظر الطبيعية قوة جبارة لا مناص له من الخضوع لها . فتراه يعبد منها ما لا يدركه . وطورا يصفه بأنه تزلف من واضعيه الى ارباب السلطان واصحاب رؤوس الاموال . وحينا يقول :

(انه الغذاء الخادع للضعفاء لانه يدعوهم الى احتمال المظالم في الوقت الذي لا يتمكن من ازالتها) . واحيانا يقول : هو خمرة الشعوب يروضها على الفقر والمسكنة ويلهيها بمايغريها من نعيم الآخرة عن نعيم الدنيا ليستأثر به سادة المجتمع ويغتصبوا منه علانية او يسرقوا منه خلسة ما يطيب لهم ان يغتصبوه او يسرقوه) .

وموقف ماركس المضطرب في الدين قرينة لاضطرابه النفسي . وعجز ظاهر عن مقارعة الشرائع وقد فاق ماركس الدهريين في انكار ما وراء المادة اذ قالوا : (ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) .

فان ماركس حاول ان يفسر المظاهر الدينية **بهذه الاراء المضطربة** .

فاين الرأسماليون الذين اتى وحيهم بالاسلام ؟ وهل علم ماركس والماركسيون بقصة الملأ من قريش حينما أرسلوا احد زعمائهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول له:

(ان كنت تريد المال جمعنا لك منه ما تزيد حتى تصير أغنانا ، وان كنت تريد الملك ملكناك علينا ، وان كان بك شيء عالجناك) .

Made With Pdf Office

وحينما انتهى سفير قريش من هذا الخطاب يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

(انتهيت يا عم ؟ ثم يقرأ اول سورة صلت حتى يبلغ(فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) ٠

وحينئذ تتسرب أنوار الحقيقة الى قلب ذلك السفير ويخاف على نفسه فيضع يده على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول ناشدتك الرحم ان تكف ٠ ثم يأتى قومه وينصحهم طاعة رسول الله صلى الله عليهوسلم ويقول :

(ان لكلامه لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق ، وانه ليس من كلام البشر) ٠

وهل علم ماركس والماركسيون قصة الملأ من قريش حينما اجتمعوا فى بيت ابى طالب يقولون له :

(اما ان تنهى محمدا عن تسفيه أحلامنا ، وتضليل معتقداتنا او تخلى بيننا وبينه) حتى يقول له عمه : يا ابن أخى لو أبقيت على نفسك فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه)٠

وهل يظن ماركس والماركسيون أن الملأ من قوم فرعون هم الذين أوحوا الى رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام بالدين الذى جاءهم به ودعاهم اليه فيقول فرعون : وما رب العالمين ؟ فيقول : « رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين» فيقول لمن حوله : ألا تستمعون ؟ حتى يقول موسى : « ربكم ورب آبائكم الاولين » فيقول فرعون : انرسولكم الذى أرسل اليكم المجنون ٠ فيقول موسى « رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون » حتى يقولفرعون: « لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين » فيقول موسى «أولو جئتك بشىء مبين » ٠

وهل يظن ماركس والماركسيون أن الملأ من قوم فرعون او من بنى اسرائيل هم الذين أوحوا الى موسى بتحريم المراباة وان يقاد للنفس بالنفس ، والعين بالعين ، والاذن بالاذن والسن بالسن ، وان الجروح قصاص ٠

وهل يظن ماركس ان اغنياءاليهود والرومان هم الذين اوحوا الى عيسى بن مريم حتى جاء بالانجيل وهوالذى أثر عنه انه يقول :

« ان دخل الى مجمعكم رجل واحد بخواتيم الذهب فى لباس بهى ودخل معه فقير بلباس وسخ فنظرتم الى اللابس اللباس البهى وقلتم لهَ :

ـ اجلس انت هنا حسنا ٠

Made With Pdf Office

ـ قف انت هناك او اجلس تحت موطىء القدمين ٠

فهل لا ترتابون فى أنفسكم وتصيرون قضاة أفكار شريرة ؟)

وهل علم ماركس ان رجلا من فقراء المسلمين مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع بعض اصحابه رضى الله عنهم فقال ما تقولون فى هذا قالوا :

حرى به ان خطب الا يخطب ، وان قال الا يستمع وان شفع أن لا يشفع، ثم مر رجل من أغنياء المسلمين فقال ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حرى به ان خطب أن يخطب وان شفع أن يشفع وان قال أن يستمع ٠ فقال عليه الصلاة والسلام :

(هذا ـ يعنى الفقير ـ خير من ملء الارض مثل هذا ـ يعنى الغنى ـ) ٠

ولا شك ان ماركس يجهل هذه الحقائق ولا يدرى عنها شيئا ولو ادعى معرفتها لكانت البلية أخطر والمصيبة اعظم :

فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة
وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم

الاخلاق والاداب :

يحارب الماركسيون جميع الاخلاق التى قد يتصف بها شعب من الشعوب او فرد من الافراد ، بدعوى ان هذه الاخلاق سواء كانت فردية او جماعية ما هى الا اثر من الاثار التى أوحى بها « الاقطاعيون » ٠ وان هى الاخداع وتضليل للعمال والفلاحين من قبل الملاك واصحاب الاموال ٠

والخلق الوحيد الذى آمن به الشيوعيون هو وجوب مخالفة سائر الأنظمة الاخلاقية ومحاربة عموم انواع الآداب المرعية فى المجتمعات الانسانية وبخاصة ما كان منها نتيجة للاوامر الالهية ٠

وقد قادهم هذا الشذوذ الخلقى الى هتك الاسرة ومحاربة ناموس الزواج ورأوا أن هدم ذلك من أقوى دعائم الشيوعية فتساوى الزواج والزنى فى نظامهم ، وحسن فى اعينهم وقاع أمهاتهم واخوانهم وبناتهم وعماتهم وخالاتهم ٠ وانحطوا فى سلوكهم الاخلاقى عن كثير من الحيوانات العجماوات ٠

وقد اصبحت لفظة « الكرامة » عندهم لفظة مرذولة فالمحبوب لديهم أن يطوروا بالرفقاء الانذال ٠ واضحت كلمة « الشرف » من الالفاظ المدسوسة على الانسانية بواسطة اصحاب الاقطاع فيجب أن تداس بالآقدام « والأمانة » دسيسة خبيثة من دسائس المحافظة على رؤس الاموال٠

المعارف والعلوم :

ويرى الماركسيون ان المعارف والعلوم انما ترجع الى حاجة الانسان ـ المادية ـ الجسدية منكرين ان يكون لعقله او وجدانه تأثير فيها ٠

Made With Pdf Office

كما ينكرون اشد الانكار أن تأتى من طريق السماء • وانما تكون فقط وليدة حاجته المادية ومطالبه الحيوانية

أما العلوم والمعارف والنظريات التى لا تخضع لهذا التفسير الشيوعى فهى فى نظرهم :

تضليلا •• وتخيلات •• واوهام

(المخططات الرئيسية لقيام المجتمع الشيوعى) :

يرى ماركس أنه لا بد لقيام المجتمع الشيوعى — من خمسة اركان يبنى عليها وهى:

١— استيلاء الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين على مقاليد الحكم فى أول الامر •

٢— تأميم وسائل الانتاج ومصادر الثروة •

٣— القضاء على رأس المال •

٤— القضاء على الطبقات •

٥— ثم القضاء على الحكومة •

(١— استيلاء الطبقة الكادحة على مقاليد الحكم)

يرى ماركس ان (الاجراء) ولا سيما الاجراء فى الصناعة قابلون « للثورة الاجتماعية » لانهم لا يملكون شيئا فى المصانع ولعلهم كذلك يحملون فى الغالب قلوبا مملؤة بالحقد والضغينة على اصحاب الاموال ،وهم الاداة السهلة اللينة التى تؤثر فيها مختلف الدعايات لذلك اعتبر ماركس أن اول المخططات الضرورية لقيام المجتمع الشيوعى هو قيام الطبقة الكادحة — البروليتاريا — من العمال الصناعيين والاجراء الزراعيين بالاستيلاء على مقاليد « الحكم » ومناصب الدولة حتى يهدم بهم الحكومات القائمة •

ونحن لا نرى عيبا فى هذه القاعدة من حيث ان تكون الحكومة من طبقة الفقراء فان الفقر والغنى فى نظرنا أعراض غير ذاتية بل تتغير وتتبدل ، اذ المال ظل زائل وعارية مستردة • والمرء عندنا باخلاقه وآدابه لا بأمواله وكثرة متاعه •

وما المال والاهلون الا ودائع
ولا بد يوما ان ترد الودائع

غير أننا لا نرى ان يكون المسيطرون على مقاليد « الحكم » ولا بد من طبقة الفقراء ، اذ الغالب عليهم الفوضى والجهل ولله در الشاعر اذ يقول :

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

غير ان نظام الماركسيين ينص على:

(ان قيام حكومة العمال والفلاحين هو شىء « مؤقت » وأنه حركة انتقالية الى مرحلة الشيوعية الحقيقية التى لا تبقى فيها حكومة وانما ينطلق الشعب حرا بلا حكومة ولا سلطان)

بيد ان واقع الحياة الشيوعية لم ير هذه النظرية مطبقة فى أى قطر

Made With Pdf Office

من الاقطار التى بليت بهذا النظام . فجميع البلاد التى صالت الى الشيوعية قامت حكومتها من جنس الحكومات التى كانت فى تلك البلاد قبل الحكم الشيوعى .

ولم يقع ابدا ان صارت حكومة شيوعية من طبقة العمال والفلاحين

ففى روسيا مثلا كان الدور الذى قامت به الطبقة الكادحة هو اشعال نار الثورة ضد الحكم القيصرى والقضاء عليه . ولما تم لرؤساء الحزب الشيوعى ما أرادوا من سقوط عرش آل رومانوف ـ قبض رؤساء الحزب الشيوعى على زمام الحكم وازاحوا العمال والفلاحين من الطريق وردوهم مدحورين الى المصانع والمزارع ليقاسوا تحت سخط الحزب الشيوعى اشد الوان المهانة والارهاق .

وقد قام العمال والفلاحون بعدة ثورات كانت تقابل بأنكى صنوف القمع والارهاب . ولم تمنع وسائل التعذيب الاجرامية هؤلاء من أن يقوم الكثير منهم باحراق المحاصيل وتبديد الماشية والاموال حتى لا تقع فى يد هؤلاء الحكام المستبدين .

وقد حاول ـ ستالين ـ أن يقضى على ثورات الطبقة الكادحة بالوان شتى من انواع القتل والحبس والنفى فى مجاهل ـ سيبريا ـ والتهديد والوعيد فلم يفلح .

وفى منشور له فى هذا الصدد يقول :

(لكى يضمن الكولخوزيون ـ المزارعون ـ لانفسهم الحياة والعيشة يتطلب ذلك منهم ان يعملوا فى « الكولخوزات » ـ المزارع التعاونية ـ ويحافظوا عليها ، ولا ينسوا مسؤوليتهم تجاهها) ولما قال العمال لستالين :

ـ لقد وعدتمونا بأن تكون الحكومة من العمال والفلاحين فلم لا تنفذون وعودكم ؟

قال ستالين :

« لقد انتقلت السلطة وتركزت فى يد حزب واحد هو حزبنا ولن يشاركنا فى توجيه الدولة أى فئة اخرى ، وهذا ما يعنيه ـ بالدكتاتورية العمالية » .

وهكذا نرى المخطط الاول من المخططات التى رسمها ماركس للمجتمع الشيوعى لم تكن الا حبرا على ورق ـ كما يقولون ـ بل صار العمال والفلاحون فى المجتمع الشيوعى احط انواع العمال والفلاحين فى العالم .

(٢ـ تأميم وسائل الإنتاج ومصادر الثروة)

يرى الماركسيون ان السبب الرئيسى لتكوين الطبقات هو وسائل الانتاج ومصادر الثروة فلا بد للقضاء على « نظام الطبقات » من القيام :

اولا ـ بتأميم وسائل الانتاج ومصادر « الثروة » وجعلها بدل ان

Made With Pdf Office

تكون ملكا لبعض الافراد ان تصـــير ملكا لجميع الامة ٠

وهذا التأميم كذلك يعتبر خطـوة اولى لخطوة تليها هى القضاء التام على رؤوس الاموال والملكيات الفرديةمهما كان نوعها وهذه النظرية لا ترى أية حرمة لمن بيده شىء من مصادر الثروة ووسائل الانتاج ٠ كما لا ترى ايـــة قيمة لما بذله الافراد فى سبيلمشروع ولو فى الاصل على الاقل للحصولعلى ما بأيديهم من أموال ٠

ولسنا نجادلهم بالادلة الدينيـــة التى توجب مراعاة الحرم والمحافظـة على حقوق ذوى الحقوق فان الدينفى نظرهم هو « أفيون الشعوب » وانما نقول لهم :

لقد اممتم مصادر الثروة ووسائل الانتاج ، فماذا فعلتم بهذه الامـــوال المؤممة ، وكان المفروض بناء عـــلى دعواكم الاساسية ان تصير ملكـــا للمجموع يتساوون فى الانتفاع بها٠ فهل صار فى متناول كل فرد مـــن افراد امتكم أن يحصل على شىء من هذه الاموال يسد بها عازته ويقضى منها وطره ٠ وحاجته ؟

والواقع ان الاموال المؤممة انمـــا انتقلت من ملك اربابها ومكتسبيـــها الى خزينة الدولة ليتصرف فيهـــــا الحكام حسب اغراضهم واهوائهـم وليبذلوا ما شاءوا فى سبيل امتـداد حكمهم وسلطانهم ولينغمسوا بهـــا فى الشهوات والملاذ الى حلوقهـــــم وأذقانهم ٠ وقد كانت نتيجة هـــذا ـ التأميم ـ سلب أسباب الغـــنى من الاغنياء وادامة الفقر والمســـكنة للمساكين والفقراء ٠

(٣ـ القضاء على رأس المال)

والمخطط الثالث من المخططـــات اللازمة لقيام المجتمع الشيوعى هـو القضاء على « رأس المال » بدعوى ان رأس المال يشكل العمود الرئيـــسى للظلم الواقع على رأس « الطبقـــة الكادحة »٠

أما كيفية هـــذا الظلم فيقرر الماركسيون بأن قيمة كل شىء هـــو العمل الانسانى الذى بذل فيه ، واذا لم يكن هناك استغلال وجب ان يأخذ العامـــل ثمـرة العمل كلهـــا ، الا أن صاحب رأس المال «يستغل » اضطرار العامل فلا يعطيه من قيمـــة عمله الا جزءا يسيرا قـــد لا يفى بكفايته ولا يقوم بحاجته الضروريـة من القوت ثم يأخذ صاحب رأس المال الزيادة لنفسه ، ويصرفها فى توسيع ثروته فيزداد امعانا فى الظلمواغراقا فى سرقة حقوق العامل ٠

وهذه الزيادة بين رأس المالالاصلى وقيمة الانتاج يسميها كارل ماركس « القيمة الفاضلة »٠

وهذه القيمة الفاضلة قـد ذهـب اكثرها الى صاحب رأس المال ، وقد كان من حق العامل ان يستولى علىهذه القيمة الفاضلة كلها لانها فىالواقـع

Made With Pdf Office

عند ـ ماركس ـ قيمة عمله وثمرة كده

لذلك رأى ماركس من الضرورى القضاء على رأس المال حتى تتحطم السلاسل والاغلال التى يكبل بها الرأسماليون العمال والكادحين • ولا بد أن يسرى على الجميع بعد ذلك قانون قاطع هو :

«ان لكل حسب حاجته ، ومن كل حسب طاقته »ومعنى ذلك ان الدولة تكفل لكل انسان قدر ما يحتاجه فى معاشه من مطعم وملبس ومسكن ، وتكلفه فى نظير ذلك ان يبذل للدولة ما يطيقه من العمل!

هذا •• ودعوى الماركسيين أن رأس المال يشكل العمود الرئيسى للظلم الواقع على رأس الطبقة الكادحة هى دعوى فاسدة بل رأس المال قد يكون سببا فى كثير من الاحيان فى مد يد المساعدة والعون للطبقة الكادحة وتيسير اسباب المعايش لهم •

كما ان دعوى الماركسيين ان قيمة كل شىء هو العمل الانسانى الذى بذل فيه ، وان العدالة تقتضى ان يحصل العامل على جميع القيمة الفاضلة هى دعوى منافية للعدل والانصاف كذلك لما فيها من الغاء اعتبار الادوات والآلات التى بذلها صاحب رأس المال والتى يسرت للعامل هذا العمل ، كما أن أبسط قواعد الاقتصاد تبرهن على أن قيمة الشىء ليست العمل الانسانى الذى بذل فيه •

فالسلعة الواحدة قد يصنعها عامل فى يوم ويصنعها عامل آخر فى يومين وقد يباع كتاب فى سنة ما بدينار واحد ولا يساوى فى سنة اخرى اكثر من ربع دينار ، وهذا الصنف من الشراب قد يرتفع سعره فى بلد وينخفض فى بلد اخر فى نفس الوقت مع ان العمل الانسانى الذى بذل فيه انما هو عمل واحد •

بل قيمة الشىء غالبا تخضع لنظام « العرض والطلب » •

كما ان القانون الذى قرروا أن يكون لكل حسب حاجته ومن كل حسب طاقته ، هو قانون خيالى ، لان حاجات الناس متفاوتة كتفاوت طبائعهم • أى ان هذا العامل قد يكفيه قليل من الخبز والادام لتوليد طاقة العمل فى بنيته ، وقد يزامله عامل آخر فى نفس العمل ولا يكفيه ضعفه من الخبز والادام لتوليد طاقة العمل لديه ، كما ان بعض العمال قد يستطيع مباشرة عمله فى الشتاء بلباس خفيف ولا يستطيع زميله فى العمل ان يباشر الا بلباس ثقيل قد يكلفه ضعف ما يحتاجه زميله السابق

ومما يبين فساد هذه النظرية ومجافاتها لنظام الطبيعة والفطرة هو: عجز الشعوب التى سقطت فى براثن دعاة الشيوعية عن تطبيقها ، كما انهم صاووا المثل الاسوأ فى ظلم الطبقة الكادحة من الفلاحين والعمال•

فقد صار العامل فى روسيا ـ مثلا ـ يطلب منه ان يقدم أقصى ما يستطيع

Made With Pdf Office

تقديمه من طاقة فى مدة معينة ، ثم تبيع الحكومة مجهود هذا العامل باكثر مما كلفته حاجته التى فرضت انها مساوية لمجهوده ٠

فمجهود العامل الذى يساوى الف ريال كان ينبغى ان يحصل فى نظيرة على قدر حاجته التى يرى نفسه محتاجة اليها وقد تصل الى الف ريال مثلا ٠

٠٠ غير ان الحكومة هى التى حددت حاجته بنفسها دون ان يحددها المحتاج نفسه ، فقد قدرت له ـ مثلا ـ ستمائة ريال ، فسرقت منه اذا اربعمائة ريال ٠

وبهذا يكون هؤلاء الماركسيون قد وقعوا فى انحس مما عابوه على أصحاب رؤوس الاموال ٠ على أن دعوة القضاء على رأس المال قد فشلت عند التطبيق لدى الشيوعيين، فقد اضطرت روسيا ـ مثلا ـ الى أن تبيح للفلاحين ان يتملكوا قطعا صغيرة من الاراضى يستثمرونها لاستهلاكهم بشرط أن لا يعاونهم فى استثمارها آخرون ، كما نصت على ذلك المادة (السابعة والتاسعة) من الدستور السوفيتى

كما أباحت الحكومة للفرد «تملك» اشياء أخرى كالماشية والبغال ـ وان كانت الحكومة قد فرضت على الملكيات الفردية الصغيرة ضرائب باهظة حتى تتلاشى وتموت ٠

(٣ـ القضاء على الطبقات)

ذكرنا فى بحث تأميم وسائل الانتاج ومصادر الثروة ان الماركسيين يرون ان السبب الرئيسى لتكوين الطبقات وجود وسائل الانتاج ومصادر الثروة وانهم قرروا ان لا بد للقضاء على نظام الطبقات من القيام بتأميم وسائل الانتاج ومصادر الثروة وكأنهم بهذا يقررون ان القضاء على «الطبقات» لازمة من لوازم النظام الشيوعى بل هو أشد ضرورة من التأميم ٠ لذلك اذاعوا واشاعوا انهم يركبون كل صعب وذلول لتحقيق ذلك الامر الخطير ٠

تعريف الطبقة :

الطبقة فى نظر اكثر الباحثين هى الفئة من الناس التى تختلف فى مركزها الاجتماعى عن باقى الفئات التى تشكل معها مجتمعا ما ٠

فالعمال الزراعيون والصناعيون طبقة ، وصغار الملاك طبقة ، والمتوسطون فى الاملاك طبقة ، واصحاب الثراء الواسع والملك العريض والاقطاعيون طبقة ، والمهرة العسكريون طبقة والامراء والنبلاء طبقة ؛ ورجال الدين طبقة ٠

وقد يصير الانسان فى طبقة من هذه الطبقات بسبب النسب كما قد يصير اليها بسبب العلم ٠ ولا مانع ان ينتقل الانسان من طبقة الى طبقة اسفل ٠ على حد قول القائل :

Made With Pdf Office

تفس عصام سودت عصامـــا
وعرفته الكر والاحجامـــا
وصيرته بطلا مقدامـــا

وقول القائل :

ابوك اب حر وأمـــك حرة
وقد يلد الحران غـــير نجيب

وهذا التعريف « للطبقة »لا يمنع وجود تعاون بين طبقة واخـــرى اذ هذا التفاوت الطبقي ضرورة مـــن ضرورات العمران وسبب وجـــوده تفاوت الفطر · ولذلك يقال«الانسان مدنى بالطبع » قرر اللـــه تعالى فى القرآن الكريم هذه الحقيقةاذ يقول :

« نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهمفوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » ·

تعريف الطبقة عند ماركس :

اما كارل ماركس فقد عرف الطبقة :

« أنها الطائفة التى تكون لهـــا مصالح معارضة لمصالح طبقة اخرى »

وعلى هذا التعريف لا بد منفرض الشقاق والنزاع ودوام الصراع بـين عموم الطبقات ولذلك زعم الماركسيون انه من الضرورى القضاء على نظـام الطبقات وايجاد مجتـــمع ديمقراطى على مستوى واحد تنعدم فيه جميـــع الفروق الطبقية على أية حال ·

وقد سعى الشيوعيون جهدهـــم وبذلوا كل ما يمكن بذله لتحقيق هذه الغايـــة فهل انعـــدم من المجتمـــع الشيوعى نظام الطبقات ؟!

وجود الطبقات فى المجتمـــــع الشيوعى :

والواقع ان المجتمع الشيـــوعى يتمثل فيه ما يتمثل فى غيره مـــن الطبقت فلا يزال فى روسيا ــ مثلا ــ طبقة العمال والفلاحين ،وطبقة القادة العسكريين ، وطبقة رجـال البوليس السرى ، والمخابرات ، وطبقة العلمـاء والرجال الاكاديمين،وطبقة المهندسين، وطبقة الفنانين والرقاصين ، وطبقة زعماء الحزب الشيوعى ·

وقد وجدت هـــذه الطبقات فى المجتمع الشـــيوعى بحسب تفاوت الدخل الذى قدرته الحكومة لهـؤلاء حسب ميزان الاحتياج الذى صنعوه· فقد جعل المعدل الوسط لحاجـــة العمال والفلاحين ما بين ٦٠٠ــ٧٠٠ روبل ، كما جعل المعدل الوســـط للفنانين والرقاصين يتراوح ما بـين ١٤٠٠ الى ٢٠٠٠روبل · وجعل المعدل الوسط للقـادة العسكريين والعلماء والمهندسين يتراوح بـين ٤٠٠٠ الى ٧٠٠٠ روبل ·

وقد عمدت الحكومة بعـــد الحرب العالمية الثانية ا لى بناء منازل لاعضـاء الاكاديمية ومنحت كل واحد منهـــم سيارة وسائقا خاصا وبهذا تـــكون الشيوعية الرسمية قد أوجدت نظاما طبقيا انحس مما عند غيرهم من نظام الطبقات ولا شك أن محاربـــة اساس

Made With Pdf Office

النظام الطبقى ما هـــو الا وقوف فى وجه الطبيعة التى طبع الله النـــاس عليها وحرب للفطرة التى فطر اللـه الناس عليها ٠

وقد سجلت حوادث التاريـخ أن محارب الفطرة مدحور والمتصـــــدى لقهر الطبيعة مقهور ٠

ولسنا بهذا نقرر ترفع وتعالى طبقة على طبقة او بغى فئة على فئة فنحن لا نرى فضل الرجل بمالهولا نرى فضله بوظيفته ولا نرى فضله بنسبه وانما الفضل عندنابالاعمالالصالحةوالاخلاق الفاضلة والمرء فى الواقـع باصغريـه قلبه ولسانه ٠

(٥ـ القضاء على الحكومة)

الدعامة الخامسة من دعائم النظام الشيوعى هى القضاء على الحكومـــة والدولة ٠ والشيوعيون يعتبرون ان القضاء على الحكومة هو النهايةالحتمية للنظام الشيوعى وفى ذلك يقـــول ماركس :

ـ (٠٠٠ وبعد ان تزول المنازعات بين الطبقات زوالا نهائيا خلال التطور وبعد أن يتركز الانتاج كله فى ايدى الافراد المتشاركين عندئذ تفقـــد السلطة العامة طابعهـــا السياسى) ثم يقول ايضا :

ـ (٠٠٠ والدولة هى سلطـــة الطبقة المنظمة تزول بزوال الطبقـــة وعندئذ يكون عهد الشيوعية بكل ما تعنى الكلمة) ٠

وكأن ماركس يقول ان وجـــود الحكومة مهما كانت من العوامل التى تقيد الشعب وتحول دون صبغتـــه بكامل حريته فلا بد من زوالالحكومة لينطلق الشعب فى طريق حريتـــه الى أقصى الحدود ٠

وكأن ماركس يرى ان حقيقـــة الشيوعية لا يمكن ان تتكامل ما دام على رأس الشعب حكومة تدبره وفى ذلك يقول :

ـ (٠٠٠ الشيوعيةهى عهد تسوده الحرية وعصر يزدهر فيه الانسـان اكمل ازدهار فهو يحتم مـــع زوال الطبقات زوال الحكومة) ٠

ونحن لا نستطيع ان نجزم هـــل كان ماركس جادا فيما يقول حينمـــا يقرر هذه الحقيقة على انها من دعائم النظام الشيوعى ؟ وهل كان ماركس متمتعا بقواه العقلية حينمـــا يخرج على الناس بمثل هذه النظرية الـتى لم يعرفها التاريخ البشرى فى مجتمع ما من المجتمعات المتمدنة او الهمجيـة على حد سواء ؟ وحتى لو فرضوجودها فى مجتمع بدائى همجى فهل يجـيز العقل وجود مثلها فى مجتمـــع ذى حاجات متفاوتة بل والحاح فى طلب الكماليات ٠

وهل ظن ماركس ان فطر النـاس المتباينة وطبائعهم المتنازعة سيئـول بها الحال الى الزوال فيعيش الناس فى الارض يأكلون من نباتاتها المختلفـة ولحوم حيواناتها المتغايرة الطبائع ،

Made With Pdf Office

ثم يصيرون فى نفس الوقت كملائكة السماء ؟!

ولا نذهب بعيدا لنراجع نحن أو غيرنا فى ذلك حوادث التاريخ وانما نلقى نظرة عابرة على واقع الحكومة فى « المجتمع الشيوعى » فالمعروف الذى لا يشك فيه من عنده ادنى اطلاع ان الحكومة فى بلاد الشيوعيين ومن ينحو نحوها تسير فى طريق « الدكتاتورية » الى حد لا نظير له فى المجتمعات الاخرى :

فمن مقررات ستالين :

(ان تقرير المصير لاى فرد او أمة او جماعة يجب الا يتضارب مع حق الحزب الذى يمثل الجماهير الكادحة فى ان يحكم حكما دكتاتوريا) ·

بين الشيوعية والاشتراكية

يستعمل الكثيرون الشيوعية والاشتراكية على معنى واحد غير أن بعض الناس يفرق بين الاشتراكية والشيوعية فى الجملة من وجوه :ـ

١ـ ان الاشتراكية هى الخطوة الاولى للشيوعية · ·

٢ـ ان الاشتراكية لا تمانع فى قيام حكومة من طبقة العمال والفلاحين بخلاف الشيوعية الحقيقية فانها لا تجيز أى نوع من الحكومات ·

٣ـ ان الشيوعية لا تبيح أى نوع من الملكيات بخلاف الاشتراكية فانها تجيز وجود بعض الملكيات الفردية فى حدود ضيقة وعلى قواعد تؤدى فى النهاية الى تلاشى هذه الملكيات ·

الاسلام والاشتراكية :

هذا ولم يزعم زاعم ـ مهما كان ان الاسلام والشيوعية قد يلتقيان ، فلم نسمع الى الان صوتا واحدا يقول:

ـ (ان الاسلام لا يتنافى مع الشيوعية)

اذ اصل الشيوعية هو انكار الالوهية والدين وانما سمعنا ان بعض الناس ـ وقد يكونون من المنتسبين للاسلام او للعلم ـ يزعمون ان الاسلام لا يتنافى مع الاشتراكية وقد يتعامون عن ان الاشتراكية مذهب ، خاص ذاتية هذا المذهب تخالف ذاتية الاسلام فى روحه وصورته كما يتجاهلون ان الاسلام دين الله الحق قد اتى بجميع مايسعد الناس فى معاشهم ومعادهم ·

وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك بابا من ابواب الخير الا دل الناس عليه ولا بابا من ابواب الشر الا حذر الناس عنه بيد انهم يقولون :

ان بعض نصوص القرآن كقوله تعالى « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » ·

وكقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس شركاء فى ثلاثة : فى الماء ، والنار والكلأ » · تدل على صحة المذهب الاشتراكى ·

Made With Pdf Office

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على جهل هؤلاء بحقيقة الاسلام عموما، وبمعنى هذه الآية وذلك الحديث خصوصا فالآية نزلت تشرح مصرف الفيء • وهو نوع خاص له طابع خاص من بين الاموال الاسلامية • واما الحديث فقد بين موضع الشركة وهو الماء والنار والكلأ •

ولفظ الحديث يدل بمفهومه على أن ما عدا هذه الاشياء الثلاثة من الاشياء التى يمكن أن يتملكها الانسان لا اشتراك فيها • ولو سلمنا جدلا انه قد يفهم من هذه الادلة الدلالة على صحة المذهب الاشتراكى — وان كانت لا تدل بظاهر الفاظها على ذلك كما أشرنا — فان صريح الكتاب وصحيح السنة يدل بما لا مجال للشك فيه على حفظ ممتلكات الناس واموالهم فليستمعوا الى قوله تعالى :

« ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » •

والى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع :

« الا ان دمائكم وأموالكم واعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا • ثم يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فيقول : الا هل بلغت اللهم فاشهد » •

ولا يختلف اثنان من اهل العلم فى صحة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول « من غصب شبرا من أرض طوقه الله بسبع ارضين يوم القيامة » فهذا هو دين الاسلام •

«ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين » •

مواصفات خيالية

جاء رجل الى نخاس فقال له : اطلب لى حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ، ان خلا الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا صادم السرارى ولا يدخلنى تحت السوارى، ان أقللت علفه صبر ، وان زدته شكر، وان ركبته استقام ، وان ركبه غيرى هام • فقال له النخاس : اصبر ، فان مسخ الله أحدهم حمارا شريته لك •

Made With Pdf Office